

#### المحاضرة 5 / سلسلة الداء والدواء

فمازلنا ندْرُس جواب الإمام ابن القيم رحمة الله عليه؛ الفتوي التي وردت الله ونصُها: (مَاذَا يَقُولُ اَلسَّادَةُ اَلْعُلَمَاء لَ أَئِمَّةُ الدِّينِ رَضِيَ اَلْلهُ عَنْهم الْجُمَعِينَ فِي رَجُلٍ أَبْتَلِي بِبَلِيَّةٍ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا إِنْ اِسْتَمَرَّتْ بِهِ أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ ، وَقَدْ ? جُتْهُدْ فِي دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ بِكُلِّ طَرِيقِ فَمَا يَرْدَادُ إِلَّا تَوَقَّدًا وَآخِرَتُهُ ، وَقَدْ ? جُتْهُدْ فِي دَفْعِهَا عَنْ نَفْسِهِ بِكُلِّ طَرِيقِ فَمَا يَرْدَادُ إِلَّا تَوَقَّدًا وَشِدَةٌ ، فَمَا الْحِيلَةَ فِي دَفْعِهَا ؟ وَمَا الطَّرِيقُ إِلَى كَشَفْهَا ؟ رَحِمَ اللَّهُ مِنْ أَعَانَ مُبْتَلَى ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، أَفْتَوْنَا مَأْجُورِينَ مُرحِمَكُمْ اللَّه ).

صدْر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الجواب بطمأنة السائل بأن الأحاديث التي فيها أن الله عزوجل ما أنزل داءً إلا أنزل له دواء ، وذلك يعُمْ الأدواء والأمراض البدنية وكذلك الأمراض القلبية ، ثم أشار إلى أن القرءان أنزله الله تبارك وتعالى {يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصَّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس:57]

وآستدل أيضًا على التداوى بالقرءان الكريم بحديث أبي سعيد الخدري و رضى الله تبارك وتعالى عنه - في الرُقية بالفاتحة (كُنَّا في مَسِيرٍ لنا فَنَرَلْنا، فَجاءَتْ جارِيةٌ، فقالَتْ: إنْ سَيِدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وإنَّ نَفَرَنا غَيْبٌ، فَهلْ مِنكُم راقٍ؟ فَقامَ معها رَجُلٌ ما كُنَّا تَأْبُنُهُ برُقْيَة، فَرَقاهُ فَبرَأَ، فأمَر له بتَلاثِينَ شاةً، وسَقانا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنا له: أكُنْت تُحْسِنُ فأمرَ له بتَلاثِينَ شاةً، وسَقانا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنا له: أكُنْت تُحْسِنُ رُقْيةً - أوْ كُنْت تَرْقي؟ - قالَ: لا، ما رَقَيْتُ إلّا بأُمِّ الكتاب، قُلْنا: لا تُحْدِثُوا شيئًا حتَّى نَأْتِيَ - أوْ نَسْئَلَ - النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا تُحْدِثُوا شيئًا حتَّى نَأْتِيَ - أوْ نَسْئَلَ - النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ: وما كانَ يُدْرِيهِ قَدَمْنا المَدِينَةَ ذَكَرْناهُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ: وما كانَ يُدْرِيهِ أَنَّها رُقْيَةً ؟ اقْسِمُوا واضْربُوا لي بسَهْم) 1

1

<sup>[</sup>الراوي : أبو سعيد الخدري | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : 5007 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح 1

## الدعاء والقرآن دواعً

ثم ذكر بعد ذلك أن الأدعية والرقية القرءانية والنبوية ، نعم هى دواء ، ولكن لابد من شروط أخرى في الداعى وفي المحل ، لأنه قد يتخلف عن الدُعاء أثره إذا كان ضعيفاً في نفسه ، بأن كان لا يحبه الله أو فيه نوع من العُدوان أو ضعف القلب أو تسلط الغفلة والشهوة عليه

ثم تكلم بعد ذلك على شروط قبول الدعاء ، والمقامات الثلاثة للدعاء مع البلاء.

# روشتة لإجابة الدعاء

وذكر أن من أنْفَع الأدوية الإلحاح في الدعاء ، ثم ذكر بعض الآفات التى تمنع ترتب أثر الدعاء عليه ، ثم ذكر بعد ذلك أربعة أوقات إجابة الدعاء ، وناقش علاقة الدُعاء بالقضاء والقدر.

# خّذ بالأسباب وواصل العمل

ثم بعد أن بين قاعدة مهمة جدًا وهي ترتب إرادة الأعمال بأسبابها ، وأن الجزاء بالخير أو الشرفي الأحكام الكونية والأمرية ، مُرتبط تمامًا بالأسباب ، بَلْ تُرتَّبَ أَحْكَامَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَفَاسِدِهِمَا وَمَصَالِحَهُمَا عَلَى . اَلْأَسْبَابِ وَالْأَعْمَالِ

سننة الله تبارك وتعالي أن تربط النتيجة بالسبب الذي يُؤدي إليها ، كيف أنه بين أن من تفقه في هذه المسألة وأنه لابد من الأخذ بالأسباب و أن

هذا هو الذي يُؤخذ من القُرآنِ والسئنة ، هو أن كل شيء مُترتب على السبب ، وأن السبب له تأثير حقيقي في العمل.

حينئذ يعلم أن الفقيه كل فقيه هو الذي يدفع القدر بالقدر ، ويرد القدر بالقدر ، ويُحارب القدر بالقدر ، ولا يَحتَج بالقدر في إبطال الشرع كما بينًا ، بل كل مسالك الناس إنما هي تُبنى على هذه القاعدة ، الإنسان لا يمكن أن يعيش إلا بتبنى هذه القاعدة وإحترامها.

# كل شيء بقدر

فالجوع والعطش والبرد وجميع أنواع المخاوف هي من القدر، ثم إن جميع الخلق ساعون في دفع هذه المقادير بمقادير الطعام مثلاً الذي يدفع قدر الجوع، والشرابُ الذي يدْفعُ قدر العطش، والتداوى الذي يدْفعُ قدر المرض، وهكذا كل شئ نعم بقدر، ولكن نُحارب الأقدار بالأقدار.

# قسْ بمقياسِ العاقل تنجْ

كذلك أيضًا بنفس المقياس ؛ يتمكن العاقل من دفع العُقوباتِ الأُخْروية بأن يمتنع عن المعاصي في الدنيا و يطمع في مراتب الآخرة والفردوس الأعلى ودخول الجنة والنجاة من النارِ أيضًا بعملِ الأعمالَ الصالحة في الدنيا.

# إياك وتعطيل أسباب النجاح

لكن يبقى بعد ذلك أمران بعد أن نُصحح هذا المفهوم:

إن بعض الناس تُعطل أسباب النجاة بمثل هذه المعاذير والاحتجاج بالقدر كما ذكرنا ، لكن يبقى على الإنسان بعد أن يدرك حقيقة هذه القاعدة وأن الأعمال لها تأثير فعلى وحقيقي وعميق في النتائج ، بقى عليه أمران يتم بهما سعادته وفلاحه أحدهما:

#### الأمر الأول:

أن يعرف تفاصيل أسباب الخير والشر ، وتكون له بصيرة فى ذلك عن طريق تدير القرآن والسنة و أى ما الأسباب التي تؤدى إلى الخير وما الأسباب التى تؤدى إلى الشر ، إلى الجنة أو إلى النار ، وتكون له بصيرة فى ذلك عن طريق تدبر القرآن والسنة.

#### أما الأمر الثاني:

أن يحدر مُغالطة نفسه على هذه الأسباب.

بَيْنَ بعض المداخل التي يتفرغ بها الشيطان إلي نفوس الناس ، فيُعْجزَهُم عن العمل ويُعظلهم عن العمل ، بمغالطة نفسه مثلًا بالإتكال على عفو الله ومغفرته تارة ، فيركز على صفات آيات الرجاء ويُنْسِيهُ الشيطان آيات الخوف أو بالتسويف تارة سوف أتوب سوف أصوم سوف أصلي سوف أفعل ، فالتسويف أيضًا من الأشياء التي يغالط بها الإنسان نفسه على هذه الأسباب ؛ يقول : أنا سوف أستغفر - بلساني - وهو يظن أن هذا يكفي كي يتوب الله عليه أو يقول : أنا أعمل خيرًا كثيرًا وأفعل المندوبات ولا يمكن أن الله يُعذبني ، يحتج أحيانًا بالعلم ، أحيانًا يحتج بالقدر ، أحيانًا يحتج بالأشباه والنظراء ، وأحيانًا يَحْتَجْ بعموم الناس ، وأكثر الناس يقول : وهل كل هؤلاء الناس سيذهبون إلى النار ؟! كل الناس تفعل ذلك ! والجواب هو : أننا ليس لنا في الشر أسوة ، لا تتأسى بالناس فيما يفعلونه والجواب هو : أننا ليس لنا في الشر أسوة ، لا تتأسى بالناس فيما يفعلونه . من الشر.

أيضًا أحيانًا يحْتَجْ ويغالط نفسه بالإقتداء بالأكابر ، بالشيوخ والمشهورين ، والأكابر يفعلون كذا وكذا فمالي لا أفعل مثل فعلهم ، ثم قال: إن هناك بعض من يغترُ بمسألة الجَبْر ، وأن الإنسان مَجْبور على أفعاله ، وأنه لا إرادة له في ذلك ، منهم من يغترُ بمسألة الإرجاء و

أن الإرجاء مجرد تصديق أعمال ليست من الإيمان,

ومنهم من يغتر بحُبهِ للمشايخ وللصالحين وربما يغتر بنسبه إذا كان نسبًا شريفًا ، يقول: أنا من أهل بيت النبي هؤاو أقاربي كذا أو آبائي وأجدادى علماء وصالحون وأولياء فيظن أن ذلك نافعه ولو كان ذلك نافعًا أحدًا لما قال النبي الفي الفاطمة حرضى الله عنها – إعمل لا أغني عنكِ من الله شيئا، النسب وحده لا يكفي (يا مَعْشَرَ قريشٍ! اشْتَرُوا أنفستكم من اللهِ ، لا أغني عنكم من اللهِ شيئًا ، يا بني عبد مَنَافٍ! اشْتَرُوا أنفستكم من اللهِ ، لا أغني عنكم من اللهِ شيئًا ، يا عباسُ بنَ عبد المُطّلِب! لا أغني عنكَ من اللهِ شيئًا ، يا عباسُ بنَ عبد المُطّلِب! لا أغني عنكَ من اللهِ شيئًا ، يا فاطمةُ بنت ، يا صفيةُ عَمَّة رسولِ اللهِ! لا أغْنِي عنكِ من اللهِ شيئًا ، يا فاطمةُ بنت مُحَمَّدٍ! سَلِينِي من مالي ما شيئتِ لا أغْنِي عنكِ من اللهِ شيئًا ، يا فاطمةُ بنت

من ذلك أيضًا : مِنْ يَغْتَرُّ بِأَنَّ اللَّهُ غَنِيًّا عَنْ عَذَابِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ شَيْئًا إِذَا عَذَّبَهُ ، وَأَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ لَنْ تَنْقُصَ مُلْكَهُ شَيْئًا ، وَيَحْتَجَّ بِسَاذِجِ فَهُمهُ لِمِثْلٍ قَوْلِهِ ، بقوله تعالى {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } فَهُمهُ لِمِثْلٍ قَوْلِهِ ، بقوله تعالى {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [الضحي: 5] ويقولون : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرْضَى ، أَنَّ الرَّسُولَ لَا يَرْضَى وَوَاحِدُ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ!!

\_

الراوي: عائشة وأبو هريرة | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع | الصفحة أو الرقم: 7982 | خلاصة حكم المحدث: صحيح 2

# فلا تغُرنكُمْ الحيلةُ الدُنيا

أجبنا على هذا: أن هذا ليس بالطبع وليس بالرقة ، وإلا لما ذُبِح عصفور ولما ذُبِح شاة حتى نأكلها ، فالأمر ليس كذلك بل يرضى رسول الله ما يرضى الله ، والله عز و جل يرضيه أن يعذب الذين عتوا عن أمره والذين تمردوا علي شريعته ، والذين حاربوا أولياءه ، والذين آتوا بهذه المعاصى رغم تحذير الله تبارك وتعالى وبعثة الأنبياء ، كل ذلك لكنهم أصرواو عتوا وتمردوا ، كما أن من صفاته الكاملة سبحانه وتعالى أنه يَغْفر وهو يَرْحم ويُسلمح ويُبدل السيئاتِ حسنات,

من صفات كماله وجلاله وعدله أن يُعاقب الظالم فهذا كمال في حق الله ، ولكل ما يستحقه من هؤلاء البشر.

فلا يرضى الرسول ﴿ إِلَّا بِمَا يُرْضِي اَللَّهُ ، وَاللَّهُ يَرْضَى بِتَعْذِيبِ اَلظُّلْمَةِ وَالْفَسَقَةِ ، وَالْخَونَةُ ، وَالْمُصِرِّينَ عَلَى اَلْكَبَائِرِ ، فَحَاشَا بِرَسُولِهِ أَنَّ لَا يَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أيضًا من ذلك استدلالهم بمثل قوله {قلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ أَن اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا أَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّبِعِمُ } [الزُمر:53]، يقولون: هذه الآية عامة ، نعم هي عامة ، لكن المقصود بهاأنه سبحانه يغفر الذنوب لمن تاب ، أما من لم يَتُب فكيف يغفر الله له ؟! وهو مُصِر على المعاصى إلى آخر لحظة من حياته ، فهذا ليس يدخل في الآية ، والدليل على ذلك أن هذه الآية ليست على عمومها "ليس يدخل في الآية ، والدليل على ذلك أن هذه الآية ليست على عمومها ال يغفر الله يغفر الذنوب جميعًا " لمن تاب ، أما من لم يَتُب فكيف يؤمل أن يغفر الله وهو مُصِرُّ على محاربة الله بالمعاصى .

والدليل على عدم عمومها أن من الذنوب الشرك ومعروف أن {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكُ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذُلِكَ لِمَن يَشْنَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء:48]

كذلك ذكرنا بعض الشُبهات مثل: استدلال بعضهم بقوله {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} [الليل:15] وقوله عز وجل في النار {اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الْمُعَدِّيْنَ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة:24

وغير ذلك ، أو الإعتماد على صوم عاشوراء أو يوم عرفة إلى آخر ذلك ، وذكرنا أن هذه نعم أسباب مغفره ولكن تحتاج إلى ما يساعدها من التوبة وعدم الإصرار على المعاصي حتى تكفر الذنوب.

كذلك عرَّجَ الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - وردَّ على من يتكلون على مثل قول الله تبارك وتعالى (يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء)3.

## المؤمن يُحسن الظن والعمل

2

الراوي : واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة | المحدث : العراقي | المصدر : تخريج الإحياء للعراقي | الصفحة أو الرقم : 177/4 | خلاصة حكم 3 (المحدث : في الصحيحين دون قوله: فليظن بي ما شاء | التخريج : أخرجه أحمد (16016)، والدارمي (2731)، وابن حبان (633

ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ) فَحُسن الظن هو نفسه حُسن العمل والعمل الصالح ، فَكُلَّمَا حَسنُ اَلظَّنِ بِرَبِّكَ كُلَّمَا حُسْنِ عَمْلِكَ وَإِلَّا فَحُسْنُ اَلظَّنِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ عَمْلِكَ وَإِلَّا فَحُسْنُ اَلظَّنِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ إِنْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأَتَّى حُسْنَ اَلظَّنِ. النَّجَاةِ ، وَأَمَّا مَعَ إِنْعِقَادِ أَسْبَابِ الْهَلَاكِ فَلَا يَتَأَتَّى حُسْنَ الظَّنِ.

#### إحسن ولا تغتر

ثم بين رحمه الله تبارك وتعالى: الفرق بين حسن الظن بالله وبين الإغترار بالله.

ذكر تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة:218]

لم يطلق عليهم الرجاء الابعد أن ذكر العمل ، فما أطلق الرجاء على مجرد الأماني والأوهام ، كما قال أهل الكتاب من قبلنا { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ مَّ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ مَّ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة:111]، أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا ، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا ، تلك أمانيهم الله وأوهام وخيالات و قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين.

وقال تبارك و تعالى {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [البقرة:110]أى ٱبْتُلوا وآمتُجِنوا - ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم "، أى من بعد هذه الأعمال الصالحة ، أما التمادى في المعاصى والتفريط ثم تقول أحسن الظن بالله فأنى يكون ذلك؟

أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ بَعْدَ هَذِهِ اَلْأَشْيَاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَمِنْ فَعَلَهَا ، فَالْعَالَمُ يَضَعُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ثُمَّ ذَكَرَ يَضَعُ الرَّجَاءُ مَوْضِعِهِ ثُمَّ ذَكَرَ نُصُوصًا عَظِيمَةً جِدًّا فِي فَصْلٍ رَائعٍ جِدًّا : إِنَّ كَثِيرًا مِنْ اَلْجُهَّالِ اِعْتَمَدُوا عَلَى نُصُوصًا عَظِيمَةً جِدًّا ، وَعَفْوهُ ، وَكَرَّمُهُ ، فَضَيَّعُوا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَنَسُوا أَنَّهُ رَحْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَفْوهُ ، وَكَرَّمُهُ ، فَضَيَّعُوا أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدٌ الْعُقَابِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ بَأْسُهُ عَنْ اَلْقَوْمِ اَلْمُجْرِمِينَ , فَمِنْ اعْتَمَدَ عَلَى شَدِيدٌ الْعَقْوِ مَعَ إِصْرَارِهِ عَلَى الْمَعَاصِي ، فَهُو كَالْمُعَاثِدِ ، كَالْمُسْتَهْزِئِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وذكر حقيقة نصوصًا رائعة جداً عن بعض السلف أولاً ثم ذكر بعض الأحاديث في ترتب الوعيد على بعض المعاصى,

#### هناك ذنوب يترتب عليها معاصى ليست مجازًا بل حقيقة

فمثلًا يقول النبي (قِيلَ له: أَلَا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقالَ: أَتَرَوْنَ أَبِّي لا أَكْلِمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللَّهِ لقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيما بَيْنِي وبيْنَهُ، ما دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَن فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لاَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّه خَيْرُ لا أُحِبُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَن فَتَحَهُ، وَلا أَقُولُ لاَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَ أَمِيرًا: إِنَّه خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ ما سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: يُوْتَى بالرَّجُلِ يومَ القِيَامَةِ، فَيُلْقَى في النَّارِ، فَتَثْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الْحِمَارُ بالرَّحَى، فَيُدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الْحِمَارُ بالرَّحَى، فَيُدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الْحِمَارُ بالرَّحَى، فَيُدُورُ بِهَا كما يَدُورُ الْحِمَارُ بالمَعروفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فيقولُونَ: بلَى، قَدْ كُنْتُ آمَرُ بالمَعروفِ تَأْمُنُ بالمَعروفِ، وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فيقولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمَرُ بالمَعروفِ قَلْمُ النَّارِ، فيقولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمَرُ بالمَعروفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ. وفي رواية : كُنَّا عِنْدَ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ فِيما. يَصْنَعُ؟)

الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم : 3506 | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : 4 (أخرجه ابن ماجه (4321) واللفظ له، وابن المبارك في ((الزهد)) (622)، وأبو نعيم في ((صفة الجنة)) (33

وحديث (- يؤتَى يومَ القيامةِ بأنعَم أَهْل الدُّنيا منَ الكفَّار ، فيُقال: اغمِسوهُ في النَّارِ غَمسة ، فيُغمَسُ فيها ، ثمَّ يقالُ لَهُ: أي فلانُ هل أصابَكَ نعيمٌ قطُّ ؟ فيقول: لا ، ما أصابَني نعيمٌ قطّ ، ويؤتى بأشدِّ المؤمنينَ ضرًّا ، وبلاءً ، فيقال: اغمِسوهُ غمِسةً في الجنَّةِ ، فيُغمَسُ فيها غمسة ، فيقالُ لَهُ: أي فلانُ (هل أصابَكَ ضرٌّ قطٌّ ، أو بلاءٌ ، فيقول: ما أصابَني قطٌّ ضرٌّ ، ولا بلاء) 5

فهذا على حقيقته أن هذا وعيد حقيقى ثم يُصيب ويُطال من يأتى بمثل هذه المعاصى ، ثم ذكر حديث البراء بن عازب وجملة من الأحاديث في عذاب القبر، وضغطة القبر، وضمة القبر ثم بعد ذلك ذكر بعض الأحاديث في وعيد شرب الخمر وغيرها من مثل هذه الذنوب.

#### سنستدرجهم

رد على شُبهة أيضًا يقع فيها بعض الناس: وهو أنه حينما يرى أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليه ، تمادى في المعاصى فالله يزيد في النعم ، لا يفطن أن هذا نوع من أنواع العقوبة الخفية.

أن الله سبحان وتعالى يستدرجه من حيث لا يعلم ويُملى له فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۗ صَنَسَتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأَمْلِي لَهُمْ أَ إِنَّ كَيْدِي مَتِينً } [القلم: 44-45] ، فهذه من علامات أنه يُراد به السوء وليس يراد به الخير كما يظن ، وأتى بالآية في سورة الفجر {أَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَثَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَن (15) وَأَمَّا إِذًا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) كَلَّا } [الفجر:15-16]، ليس كل من أعطيه الدنيا أكون قد اكرمته ، وليس كل من أحرمه إياها أكون قد أهنته ،

رُّراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه | الصفحة أو الرقم : 3506 | خلاصة حكم المحدث : صحيح | التخريج : 🤞 ) ((أخرجه ابن ماجه (4321) واللفظ له، وابن المبارك في ((الزهد)) (622)، وأبو نعيم في ((صفة الجنة

لكن أبتلي هذا بالنعم لأنظر أيشكر أم لا ؟! وأبتلي ذاك بالمصائب والبلايا لأنظر أيصبر أم لا ؟

#### تبليس إبليس

ثم ذكر شنبهات بعض هؤلاء الذين يُزينون لأنفسهم التمادى فى المعاصي ويُفلسفون هذا الضلال ، بقول أحدهم مثلاً : الدنيا نقض والآخرة نسيئة ، والنقض أفضل من النسيئة!

ومثل قول بعضهم أيضًا دُرة مفقودة ولا دَرة موعودة ، وقول بعضهم : لذات الدنيا متيقنة ، ولذات الآخرة مشكوك فيها ، وهذا من تلبيس إبليس على هؤلاء.

نعم النقض أفضل من النسيئة لكن إذا تساوى النقض والنسبية ، أما إذا كانت النسيئة التى تكون فيما بعد أضعاف أضعاف ، بل لا نسبة علي الإطلاق بين نعيم الجنة ومتاع الدنيا ، فالعاقل لا يمكن أبدًا أن يقدم النقض في هذه الحالة.

أما قولهم: لا أترك متيقنًا مشكوك فيه ، إن كان يقصد بالمشكوك فيه أنه يشك في صدق الرُسل والأنبياء - فهذا كافر بالله سبحانه وتعالى - فيدعى إلى الإيمان من البداية ويتفكر بالله تبارك وتعالى حتى يُدرك من الذي يعطيه ، وإن كان مؤمنًا مصدقًا ، هذا من تسليط الغفلة على قلبه ، فإنه يُحرم من إدراك هذه الأشياء بسبب ضعف العلم ، ونقصان اليقين ، وذكرنا

حديث (ليس الخَبَرُ كالمُعايَنةِ قال اللهُ لموسى: إنَّ قومَكَ صنَعوا كذا وكذا فلمَّا يُبالِ فلمَّا عايَن ألقى الألواحَ)<sup>6</sup>

وقول ابراهيم على السلام {قَالَ أَولَمْ تُؤْمِن اللهِ وَلَكِن لِيَطْمَئِنَ . " قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِيَطْمَئِنَ . " قَلْبِي الله وَلَكِن لِيَطْمَئِنَ . " قَلْبِي الله المعرة : 260]

ثم ذكر الفرق بين حُسن الظن والغرور ، وأن حُسن الظن إن حَمَل على العمل ، وحثَّ عليه فهو صحيح ، وإن دعا إلى البطالة والإنهماك في المعاصى فهو غرور.

وحُسن الظن هو الرجاء فمن كان رجاؤه داعيًا له إلى الطاعة وزاجرًا له عن المعصية فهو رجاء صحيح ، ومن كانت بطالته رجاء ورجاءه بطالة وتفريطًا فهو المغرور.

#### ثم ختم الكلام بقوله:

وَسِرَّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ اَلرَّجَاءَ وَحُسْنَ الظَّنِّ ، إِنَّمَا يَكُون مَعَ الْإِتْيَانِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي اِقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اَللَّهِ فِي شَرْعِهِ ، وَقَدْرُهُ ، وَتَوَابُهُ ، وَكَرَامَتُهُ ، فَيَأْتِي الْعَبْدُ بِهَا ثُمَّ يُحَسِّنُ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ وَيَرْجُوهُ أَلَّا يَكِلَهُ إِلَيْهَا وَكَرَامَتُهُ ، فَيَأْتِي اَلْعَبْدُ بِهَا ثُمَّ يُحَسِّنُ ظَنُّهُ بِرَبِّهِ وَيَرْجُوهُ أَلَّا يَكِلَهُ إِلَيْهَا ، وَيَجْعَلَهَا مُوصَلَةً إِلَى مَا يَنْفَعُهُ وَيُضْرِمُ عَنْ مَا يَعْرِضُهَا أَوْ يُبْطِلُ الْمَا.

الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: ابن حبان | المصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 6213 | خلاصة حكم المحدث: أخرجه في 6 صحيحه | التخريج: أخرجه أحمد (2447)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (25) باختلاف يسير، والبزار (5062) مختصراً،